

تفسير ابن كثير

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا^ج وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا^ق وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا

وقوله : (ووضع الكتاب) أي : كتاب الأعمال ، الذي فيه الجليل والحقير ، والفتيل

والقطمير ، والصغير والكبير (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) أي : من أعمالهم السيئة

وأفعالهم القبيحة ، (ويقولون ياويلتنا) أي : يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا (

مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) أي : لا يترك ذنبا صغيرا ولا

كبيرا ولا عملا وإن صغر (إلا أحصاها) أي : ضبطها ، وحفظها . وروى الطبراني ،

بإسناده المتقدم في الآية قبلها ، إلى سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله صلى الله

عليه وسلم من غزوة حنين ، نزلنا قفرا من الأرض ، ليس فيه شيء ، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : " اجمعوا ، من وجد عودا فليأت به ، ومن وجد حطبا أو شيئا فليأت به . قال

: فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أترون هذا ؟

فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعت هذا . فليترك الله رجل ولا يذنب

صغيرة ولا كبيرة ، فإنها محصاة عليه "وقوله : (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي : من
خير أو شر كما قال تعالى : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من
سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) [آل عمران : 30] ، وقال تعالى : (ينبأ الإنسان
يومئذ بما قدم وأخر) [القيامة : 13] وقال تعالى : (يوم تبلى السرائر) [الطارق : 9]
أي : تظهر المخبات والضمائر . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن
ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لكل غادر لواء يوم القيامة [يعرف
به " . أخرجاه في الصحيحين ، وفي لفظ : " يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة [عند استه
بقدر غدرته ، يقال : هذه غدره فلان بن فلان " وقوله : (ولا يظلم ربك أحدا) أي :
فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعا ، ولا يظلم أحدا من خلقه ، بل يعفو ويصفح ويرحم
ويعذب من يشاء ، بقدرته وحكمته وعدله ، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي ، [
ثم ينجي أصحاب المعاصي] ويخلد فيها الكافرون وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم ،
قال تعالى : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا
عظيما) [النساء : 40] وقال : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا

وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [الأنبياء : 47] والآيات
في هذا كثيرة . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا همام بن يحيى ، عن القاسم بن
عبد الواحد المكي ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول :
بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتريت بعيرا ثم
شددت عليه رحلي ، فسرت عليه شهرا ، حتى قدمت عليه الشام ، فإذا عبد الله بن أنيس
فقلت للبواب : قل له : جابر على الباب . فقال : ابن عبد الله ؟ فقلت : نعم . فخرج يظأ
ثوبه ، فاعتنقني واعتنقته ، فقلت : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم في القصاص ، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه فقال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة - أو قال :
العباد - عراة غرلا بهما " قلت : وما بهما ؟ قال : " ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت
يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل
النار أن يدخل النار ، وله عند أحد من أهل الجنة حق ، حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد
من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، وله عند رجل من أهل النار حق ، حتى أقصه منه حتى

اللطمة " . قال : قلنا : كيف ، وإنما نأتي الله - عز وجل - حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال :
بالحسنات والسيئات " . وعن شعبة ، عن العوام بن مزاحم ، عن أبي عثمان ، عن عثمان
بن عفان ، رضي الله عنه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الجماء لتقتص
من القرناء يوم القيامة " رواه عبد الله بن الإمام أحمد وله شواهد من وجوه آخر ، وقد
ذكرناها عند قوله : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) [الأنبياء :
47] وعند قوله تعالى : (إلا أُمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم

يُحْشَرُونَ) [الأنعام : 38]